

نظرية النبوة عند الفارابي

Amal Fathullah Zarkasyi*

Abstract

After the spread of Islam in a wide area, and the concept of monotheism had been known by most people, another teaching emerged. The teaching was against the principles of monotheism. The teaching that emerged in the second century of Hijra, called for polytheism and was influenced by Hinduistic teaching especially that of reincarnation. One of its teaching was refusal of revelation and prophecy. Since then, the debate on this issue emerged between its supporters and its opponents. At this condition al-Farabi came and try to combine between religion and philosophy.

Al-Farabi's concept on prophecy was much influenced by Aristoteles concept of dream. Even though, Al-Farabi raised a different thought from that of Aristoteles. According to Aristoteles, dream can not be part of revelation While al-Farabi saw that human being with his or her imagination could relate to the "heaven", and could uncover the concealed curtain. Further more, he saw that a dream could explain prophecy as well as revelation in the far limit. He also saw that prophet had a divine power as result of the revelation he received.

From his point of view, it may be concluded that Al-Farabi put himself in the middle position, between reason and revelation and between philosophy and religion.

Abstrak

Setelah Islam (dengan ajaran tauhidnya) tersebar di wilayah yang luas, ajaran tauhid yang dibawanya banyak dianut orang, muncul pemikiran-pemikiran dan ajaran-ajaran yang menentang prinsip-prinsip ajaran tauhid. Ajaran-ajaran tersebut muncul pada abad ke II Hijrah yang mengajak kepada politheisme. Ajaran-ajaran ini muncul terutama di Persi dengan membawa warna Hindu yaitu ajaran reinkarnasi. Salah satu pokok ajarannya adalah penolakan terhadap

wahyu dan kenabian. Dari sini muncullah pendekatan-pendekatan antara pendukung dan penolak wahyu dan kenabian. Dalam situasi yang penuh dengan perdebatan dan pertentangan ini muncullah Al-Farabi yang berusaha mencari jalan tengah antara filsafat dan agama.

Pandangan Al-Farabi tentang kenabian banyak dipengaruhi oleh pandangan Aristoteles tentang mimpi. Meskipun demikian ada perbedaan asasi antara Al-Farabi dan Aristoteles. Aristoteles berpandangan bahwa mimpi tidak mungkin menjadi bagian dari wahyu Ilahi. Sementara itu Al-Farabi berpendapat bahwa manusia dengan daya imajinasinya dapat berhubungan dengan "alam yang tinggi" serta dapat menyingkap tabir gaib. Selanjutnya dia berpendapat bahwa mimpi dapat menjelaskan kenabian dan wahyu sampai batas yang jauh. Al-Farabi juga berpandangan bahwa seorang nabi mempunyai kekuatan Ilahiyah yang merupakan hasil dari wahyu yang diterima.

Dari pandangan-pandangan yang dimunculkan, dapat disimpulkan bahwa Al-Farabi menempatkan dirinya di posisi tengah antara akal dan wahyu atau antara agama dan filsafat. Dari sini dia telah memberikan dalil-dalil ahli tentang kenabian.

مقدمة

كان الزندكية والمانونية من الفرس وأنصارهم زنادقة العرب بدؤوا في القرن الثاني الهجري ينشرون دعوة التشية ويهدمون فكرة التوحيد التي تام عليه الاسلام، إلى جانب أنهم ينادون بتناسخ الأرواح ينطرون النبوة والانبياء ولا يرون حاجة البشر اليهم.

وبعد ذلك مثلك على هذه الطريق أحمد بن اسحاق الراوندى وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى الطيب، اللذان ينكران النبوة أشد الانكار، ودأبا على الطعن في الاسلام ومبادئه في القرن الثالث والرابع من الهجرة.

وفي هذا الجو المملوء بالحوار والمناقشة في موضوع النبوة الخطير نشأ الفلرابي، وكان لا بد له أن يقاسم في المعركة بنصيب، ولا سيما هو معاصر لا بن الراوندى والرازى معا.

وبدأ الفارابي في الرد على هذين القليوفين، والدفاع عن النبوة على خصومها، وأجهد نفسه في أن يقيمها على دعائم عقلية وتفسيرها تفسيراً علمياً، وبذا استطاع أن يبطل كلمة أنصار العقل والفلسفة الذين يزعمون أن الدين لا يمكن التأخر مع الفلسفة. انطلاقاً من هذا السبب وضع الفارابي "نظرية النبوة" فأسس الدين تأسيساً عقلياً أو أنه حاول التوفيق بين الدين والفلسفة.

سيرة الفارابي شخصيته

١ - سيرة الفارابي

ولد أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ المعروف باسم الفارابي سنة ٢٥٧ هـ في مدينة "فاراب" وهي إحدى مدن الترك من وراء النهر، وكان أبوه فارسياً، تزوج من امرأة تركية، وأصبح قائد جيش. فلا غرر إذا ذهب بعضهم إلى القول إن الفارابي كان شريف النسب، وأنه بالرغم من حياة اليباب التي أعدتها له امرته، عدل عن هذه الحياة، ومال إلى العزلة والتأمل.

تلقى الفارابي علومه الأولى في مدينة "فاراب" وليس في كتب التراجم ما يوقفنا على نشأته في هذه المدينة، إلا قول ابن أبي أصيبعة: إن الفارابي كان قاضياً، وأنه لما شعر بالمعارف منذ القضاء، وأقبل بكلية على العلم، قال: وكان سبب قراءة الفارابي للحكمة أن رجلاً أودع عنده جملة من كتب أرسطو، فاتفق أن ينظر فيها، فواقت منه قبولاً، ومال إلى قراءتها، حتى أتقن فهمها وصار فيلسوفاً بالحقيقة.

ومما جاء في كتب التراجم أن الفارابي دخل العراق، واستوطن بغداد، وصحب فيها أبا بشر متى بن يونس، وقرأ النحو على أبي بكر العراج، وكان ابن السراج يقرأ عليه المنطق، قال (الن خكان): "إن الفارابي لما دخل بغداد، كان بها أبو بشر متى بن يونس الحكيم المشهور، وهو شيخ كبير يقرأ الناس عليه فن المنطق، وله إذ

ذاك صيت عظيم وشهرة وافية، وتجتمع في حلقة كل يوم المتون من المشتغلين بالمنطق، وهو يقرأ كتاب أرسطوطاليس في المنطق، ويملى على تلاميذه شرحه. فكتب عليه في شرحه سبعين نفرا. ولم يكن في ذلك الوقت مثله في فنه، وكان حسن العبارة في تأليفه، لطيف الاشارة، وكان يستعمل في تصانيفه البسط والتذليل، حتى قال بعض علماء هذا الفن: ما رأى أبا نصر الفارابي أخذ طريق تفهيم المعاني الخزلة بالألفاظ السهلة الا من أبي بشر.¹

ويروى لنا ابن خلطان أيضا أن الفارابي ارتحل الى مدينة حران، وفيها يوحنا من حيللا. تأخذ عنه طرفا من المنطق، ثم قفل راجعا إلى بغداد وألف فيها معظم كتبه، ويذهب المؤرخون في رواية أسفار الفارابي مذاهب شتى فصاعد والقفطى يذكران أنه دخل العراق واستوطن بغداد، ثم قدم على سيق الدولة في حلب، وأقام في كنفه مدة، ثم رحل إلى صحته إلى دمشق، فأدركه أجله بها. أما ابن أبي أصيبعة فيقول إن الفارابي انتقل من بغداد إلى الشام وأقام بها إلى حين وفاته. وليس بين الروايين تناقض لأن اسم الشام في رواية ابن أبي أصيبعة يشمل دمشق وحلب لا إحدى هاتين المدينتين دون الأخرى، وجاء في رواية أخرى أن أبا نصر سافر إلى مصر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، ورجع إلى دمشق، ولا نجد لمغادرته بغداد سوى سبب واحد وهو انتشار الفتن السياسية الولة صاحب حلب، فضمنه سيف الدولة إلى علماء بلاطه. ثم اصطحبه في جملته على دمشق سنة ٣٣٤، وعاش فيها حتى ادركه الأجل سنة ٢٣٩ هـ — او ٩٥٠ م. وله من العمر ثمانون عاما، فصلى عليه سيف الدولة ودفن بظاهر دمشق خارج البار الصغير.

٢ - شخصية الفارابي

كان الفارابي زاهدا في الدنيا، مسالا إلى العزلة والتأمل. لا يجب أن ينال منزلة من منازل الرفعة. ولا أن يتبوأ منصبا من مناصب الدولة ولا يعتنى بهيئة أو مسكن أو شهرة. روى (القفطى) أن الفارابي كان يقيم بكنف سيف الدولة "بزي أهل التصوف"، وقيل أن سيف الدولة أجرى عليه نعما كثيرة، فاقصر على أربعة دارهم في النهار يعد بها رmqه، وروى (ابن خلكان) أن الفارابي كان مدة مقامه بدمشق، لا يرى غالبا كان يسهر في الليل للمطالعة والتأليف مستنيرا بمصابيح الحراس.

كان الفارابي واسع الثقافة، موسوعى المعرفة، فلم يدع علما من العلوم إلا أحاط به، وكان له قدرة عجيبة على تعلم اللغات حتى حكمت حوله الاساطير، مثال ذلك إن ابن خلكان يقول: إن الفارابي صرح أمام سيف الدولة بأنه يحسن أكثر من سبعين لسانا. وفي هذا القول كما ترون كثير من المبالغة، إلا أن أمرا واحدا لا ريب فيه، وهو إن كتب الفارابي، لا سيما كتاب الموسيقى الكبير، تدل على أن الفارابي كان يجيد الفارسية، والتركية والكردية والعربية أما اليونانية والسريانية، وهما لغتا العلم والثقافة في ذلك العصر، فإن معرفته هما لم تثبت لدينا.^٢

ومما يدل على مكانة الفارابي عند القدماء إن ابن سبعين وصفه بقوله: "إن هذا الرجل كان من أهم فلاسفة الاسلام، واذكرهم للعلوم القديمة، وهو الفيلسوف فيها لا غير". وإن ابن خلكان وصفه بقوله: إنه "صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم، وهو أكبر فلاسفة المسلمين، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه".

وترجع مكانة الفارابي العلمية في نظرنا إلى أنه أنشأ مذهباً فلسفياً كاملاً، وقام في الفلسفة الاسلامية بالدور الذى قام به أفلوطين في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، كما لقب أرسطو بالعلم الأول، فكذلك لقب الفارابي بالعلم الثانى.

كان الفارابي كثير الدأب في العمل، شديد الصبر عليه، قيل إنه كتب على كتاب النفس لأرسطو بخطه: قرأت السماع الطبيعي لأرسطوطاليس الحكيم أربعين مرة.

كان الفارابي يتقن الموسيقى، كما يتقن العلوم الحكيمة والرياضية، ويذكر بعض المؤرخين أنه اخترع القانون، وأنه كان يضرب عليه حتى يستولى على سامعيه فيضحكهم أو يبكيهم أو ينومهم.

وسنين عند كلامنا على فلسفة الفارابي حقيقة معتقدة بالنبوة، إلا أن شيئاً واحداً لا يد من الإشارة إليه هنا، وهو أن الفارابي على مثاليته وزهده في الحياة، لم يسلم من همّة الزندقة.^٣

تلك هي شخصية الفارابي، وهي كما ترون شخصية الفيلسوف الزاهد في الحياة، المؤثرة للغزلة والتأمل، والمتخلى عن الجاه والثروة، ونعتقد أن شخصيته تبعد كل البعد عن شخصية أرسطو الذي عدّ في المنطق والطبيعات ومبادئ علم ما بعد الطبيعة، أما في الأخلاق والالهيات فهو ذو نزعة أفلاطونية.

النبوة في المحيط الاسلامي

١- حقائق رئيسية حول النبوة المستنبطة من القرآن

أولاً: يشكل الاصطفاء الرباني قاعدة الاساعة للتمييز بالنبوة والرسالة إذ يقول جل شأنه: الله يصطفى من الملائكة رسولا من الناس، ويقول: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، وهذه الآية الأخيرة تشير إلى الاصطفاء الجملي أو الجماعي.

ثانياً: يفهم من القرآن أن النبوة تكليف وتشريف يستتبع حيث تفانيهم في أداء الرسالة والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي تشدّ نشر دعوتهم.

ثالثا: قد يكون النذر الانساني مقدمة طبيعية للاصطفاء كما في قصة آل

عمران التي خاطبت رها قائلة: اني نذرت لك ما في بطني محررا.

رابعا: التبشير بالنبوات المستقبلية يشير إلى خطة وغاية إلهيات تنفذ آراء الماديين

الوجوديين في اهمال الكون وعدم الوجود من يرعى شؤونه يدبر أمره.

خامسا: قد تدهش معجزات الأنبياء أنفسهم ما يدل دلالة قاطعة على هذه

الخوارق والمعجزات انما تصدر من قدرة الله سبحانه وتعالى إذ لو كانت من عمل

الأنبياء ما كان لهم أن يدهشوا أو يستغربوا.

سادسا: يفهم من القرآن الكريم أن مشاريع النبوة والرسالة مشاريع تامة من

قبل الجانب الالهي ولا يبغي الى ظهورها على مشرح الحياة الواقعية في توقيتها المحددة،

كما يفهم ذلك من الآيات التي نتحدث عن ميثاق النبيين ونصها: وإن آخذ الله ميثاق

النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لا تؤمنن به

لتنصرنه.

سابعا: يؤكد القرآن في كل المناسبة وعقب ذكر النبوة الله سبحانه وتعالى

الذي يختص برحمته من يشاء فليس لاحد ان يعترض او يعبر عن نياته السيئات بانصبه

لهذا الفضل كما يؤكد القرآن أن الكفاءة لكل النبيين انما هي من احسان الله تعالى

لهؤلاء الانبياء والرسول منا البشر ومن الرجال على وجه الخصوص.⁴

ثامنا: يرسم القرآن الكريم صورة مشرقة للرسول والانبياء، ويبين أنهم مجلحدوا

الدعوة وموضع الفضل الالهي ومن يتأمل صورة الأنبياء يتضح كيف يعارض القرآن

الوان الفضل الالهي السبعة على إبراهيم وموسى وهارون ونوح وعيسى ووالدته وذى

النون وإسماعيل واليسع وذى الكفل، كل هؤلاء يحدثنا القرآن عنهم أن الله جعلهم أئمة

يهدون بأمره لمقومات وخصائص معينة يتمتعون بها.

تاسعا: يؤكد القرآن السمات البشرية للأنبياء والرسل وينسب إليهم العادات العامة والأمور الضرورية التي توجد بين البشر كأكل وشرب، يقول تعالى: وما أرسلنا قبلك من المرسلين أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

عاشرا: يعرض القرآن لبعض الأمور والأعمال التي صدرت من الأنبياء وكانت موضع عتاب أو لوم من الله سبحانه وتعالى، ويقف العلماء من مثل الأعمال موقفين متميزين: أحدهما يرى الذنوب الصغيرة التي لا تقدر في عصمة هؤلاء الأنبياء والرسل وبخاصة.

إذا علمنا إنما لا تتعلق من قريب أو بعيد بمضمون الوحي الذي يجب إبلاغه أما موقف الآخر الذي يرى أن هذه المخالفة مقصودة كوسيلة لإيضاح لتعليم الأمة ما يريد الله سبحانه وتعالى لها أن تتعلمه ويوجد في تراثنا الاسلامي حصيلة في جيدة نرى فيها نماذج الانبياء مصورة في هذه الصدد بما لا يكاد يخرج عن هذين الواقفين.

ب. النبوة في علم الكلام

وفي هذا الموضوع سيعرض رأى ابن حزم في قضية النبوة وطريقة معالجتها. يذكر ابن حزم أن لفظ "نبوة" مأخوذة من الأنبياء وهو الأعلام فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون، أو أوحى إليه، فنبأ له بأمر ما فهو نبي بلا شك. وليس هذا من باب الإلهام الذي هو طبيعة، ولا من باب الظن والتوهم الذي لا يقطع بحقيقة المجنون، ولا من باب الكهانة التي هي من استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب، ولا من باب النجوم، ولا من باب الرؤيا التي لا يدرى أصدقت أم كذبت، بل الوحي الذي هو النبوة.

يستعرض ابن حزم في كتابه "الفصل" نقاطا هامة تتعلق بموضوع النبوة. وفهمنا أن نلخص هذه النقاط الرئيسية التي أولاها ابن حزم عنايته. فمن النقاط التي تعرض لها ابن حزم وفصل القول فيها:

١. أدلة أفكار النبوة لدى الراهمة وغيرهم والرد عليهما بما يدحضها.
٢. براهين اثبات ضرورة النبوة وعدم الاستغناء عنها من منطلق إثبات إمكانها قبل وقوعها، وحبها بعد وقوعها.
٣. البراهين التي يعلم بها صدق مدعى النبوة وعلى رأيها العجزة.
٤. التفرقة بين العجزة وما يبدو شبيها بها من بعض الظواهر العجيبة المستندة إلى بعض الحيل أو السحر أو التخيل أو الحفة والمهارة.
٥. دليل ختم النبوة بالبشرية والرد على سدعي وجودها في البهائم ونعلم بهذا الأساس الذي يستند إليه ابن حزم في رفض مثل هذه الآراء هو فقدان عماد التكليف لدى الحيوان وهو العقل المثار إليه بالغة.

وملخص موقف ابن حزم في هذا السبيل أن الآيات القرآنية التي تسهد بسريان الحياة والوعى في جميع الكائنات بما في ذلك الجماد، إنما تستخدم ألفاظا مشتركة يتحتم على العقل أن يفهم منها معنى يباين المعنى الخاص بالأديان فسجود الكواكب أو الأفلاك أو الجماد والنبات ليس هو سجود طبع تسخير لا نملك هذه الأشياء عنه فكاكا^٦.

ج- النبوة في نطاق التصوف الاسلامي

تعتبر النبوة في المحيط الصوفي ظاهرة حتمية ضرورية وفاء بمهنة إلهية ورسالة خطيرة لا يستقيم الفرد أو المجتمع بدونها غير أننا نجد في التصوف فكرة أخرى هامة وهي فكرة ارتباط الولاية بالنبوة. وموقف الأولى من الثانية من حيث إنها تستمد من

مشكاة النبوة متممة بذلك أداء الأمانة وعاملة دائما على استمرارها وضاعة تبنيض بالحياة والفعالية والتأثير.

لا جدال في أن صوفية الاسلام أدركوا للوهلة الأولى أن تأييد النبوة - وهي في صورتها البسيطة الأمانة الواضحة على اتصال الله بالخلق - شرط أساسي وحيوي إذا أريد إثبات التجربة الصوفية ذاتها. ومن هنا وجدنا التقارن بين النبوة والولاية، والمعجزة والكرامة في حديث الصوفية وكتابتها وسنكتفي في إبراز النظرة الصوفية بعرض آراء سهل بن عبد الله البستري المتوفى سنة ٢٨٣ هـ كالمثل المناسب للرأى الصوفى من القرن الثالث الهجرى.^٧

د - المقارنة بين النبي والولى

إذا كانت وظيفة النبي إبلاغ رسالة الله إلى خلقه، فإن وظيفة الولى أن يقدم تذكير الناس بهذه الرسالة وأن يرشد أمة إلى أمثل الوجوه لتطبيقها. وهذا الواجب أمر تكليفي كما سبقت الإشارة، ولذا كان كل من النبي والولى مزودا ومخولا بسلطات الهية.

وإن الراد بالتكليف واحد. ولعل هناك خلافا جوهريا بين الاسر الالهى الصادر لنبى أو رسول، وبين الامر الصادر لولى، من حيث إن الأول لا يقبل التحويل مطلقا بل هو شخصى خاص. من صدر إليه، على أن الأمر قد لا يكون كذلك بالنسبة للولى. وهناك خلاف جوهرى آخر وهو أن الولى لا يأتي بشرع جديد، ولا يعارض نصا أساسا من نصوص التشريع وفي هذا الصدد لا يدع البستري شكاً في تأييد أن الولى يتبع النبى.

لنذكر أن ابن عربى يرى أن الولى المسلم له حق تغيير أو إزالة أى حكم إسلامى مبني على العكس من ذلك بما أوحى للنبى ونزل في القرآن.

ومهما يكن من أمر فليس لدينا برهان يدل على تفضيل الولي على النبي وعلى العكس من ذلك تجديدا لها. وكذلك آخر مرتبة الأولياء أول مرتبة الأنبياء، وأن طموح الولي الروحي ينتهي دون حجاب العزة بينما يصل النبي إلى الله مباشرة. وبالنسبة لعصمة النبي للولي، فإن بعض الصوفية رأوا أن الأولياء ليسوا معصومين تماما من زلات، لأن العصمة الكاملة مقصورة على الأنبياء، فإنهم أكدوا أنهم محفوظون من كل شر وسوء يؤدي إلى النيل من ولايتهم المؤسسة على كامل الإيمان وعميق اليقين، الذي لا يمكن أن ينال منه زلة أو إثم.^٨

أصول نظرية النبوة للفارابي والدوافع إليها

١- تعاليم الاسلام في الوحي والالهام

إن نظرية الاسلام في الوحي وطرائه سهلة وواضحة. فهناك ملك خاص هو جبريل عليه السلام، قادرا على التشكل بأشكال مختلفة شأن الملائكة الآخرين، وظيفته تتلخص في أنه واسطة بين الله وأنبيائه -وعنه تلقى محمد صلى الله عليه وسلم كل الأوامر الدينية، اللهم إلا في ليلة المعراج فقد اتصل بربه مباشرة واستمع ما فرض عليه وعلى أمته، ويجب أن تصعد النفوس الطاهرة أثناء النوم إلى عالم الملكوت، حيث تقف على الأمور الخفية والحقائق الغامضة. وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبدأ دعوته أحلام وآثارها في التنبؤ بالغيب، وفي القرآن سورة كاملة تشرح الاحلام وأثرها في التنبؤ بالغيب، وهي سورة يوسف.^٩

ب- نظرية الاحكام لدى أرسطو

إن أثر نظرية الاحكام لدى أرسطو في نظرية النبوة لدى الفارابي لا يمكن أن ينكر. كما أن الكندي قبل الفارابي -قد اعتنق نظرية أرسطو كما يظهر من مقارنة رسالته في النوم والرؤيا بما أثر من آراء الأخير، ولذلك يعتبر الكندي واضع أساس نظرية الأحلام الفلسفية في الاسلام.

ملخص هذه النظرية أن النوم هو فقدان الاحسان، وأن الحلم صورة ناتجة عن المخيلة التي تعظم قوتها أثناء النوم على أثر تخليصها من أعمال النقطة كما يذكر أرسطو. وبما أن الحواس تحدث فينا آثارا تبقى بعد زوال الأشياء المحبة - كما يحصل عند مجاوزتنا ضوء الشمس إلى الظل. حيث تبقى برهة لا نرى شيئا من أثر شدة ضوء الشمس الذي يمر عيوننا، وكذلك إذا ما حددنا النظر طويلا إلى لون واحد، خيل إلينا بعد مقارنته أن الاجسام كلها ملونة بهذا اللون- وكل ذلك يشهد بأن الاحساسات مهما اختلفت فإنها تترك فينا آثارا واضحة. وهذه الآثار الواضحة الخارجية تعطينا فكرة مقربة عن آثاره الداخلية التي تحتفظ بها المخيلة، وتبرزها عند الظروف المناسبة.

وعلى ذلك تكون الاحلام عبارة عن آثار احساسات ما بقية، تأخذ في الخيلة صورا شتى، ولا يعنى ذلك تعطل الاحساسات العضوية أثناء النوم، فإنها قد تؤثر في الاحلام كذلك كما دلت التجارب الحديثة العديدة التي أمكن أن يربط فيها بين الحلم وبين الاحساس العضوى - كمن يحلم بحريق مثلا إذا عرفت الاحساسات والظواهر النفسية المحيطة بالحلم، فإنه يمكن تفسيره بمهارة تتوقف على مدى الفراسة والربط بينها وبين الظروف الخاصة لأصحابها.

وأيام ما كان الأمر، فإن من المهم أن نعلم أن الحواس تتعطل في النوم على النظرة الارسطية، لتنشط بعد ذلك المخيلة التي تخزن صورا حسية كثيرة تشكلها

وتحدث ما نسميه "الأحلام" فالأحلام على هذا ثمرة من ثمار المخيلة ونتيجة من نتائجها.

وبنى الكندي - كما سلف - هذه النظرية في الاحلام وتابعه الفارابي. لكن اتباعهما لأرسطو يقف عند هذا الحد، وينفرد الكندي و الفارابي بالاتجاه الديني في تفسير الاحلام الهامة وغيرها.¹⁰

ج - ظهور منكرى النبوة و حججهم

كانت المزدكية والمانوية من الفرس وأنصارهم من زنادقة العرب، بدءوا في القرن الثاني الهجري ينشرون دعوة الثنية ويهدمون فكرة الوحيد التي قام عليها الاسلام. وكلنا يعلم خير بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس الثنوين اللذين كانت لهما مجالس خاصة تذاغ فيها آراء المزدكية والمانوية. والسمنية وغيرهم من براهمة الهند أخذوا في ذلك العهد نفسه ينادون بتناسخ الأرواح، وينكرون النبوة والأنبياء ولا يرون حاجة البشر إليهم.

وظهر بعد ذلك أحمد بن اسحاق الراوندى وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى الطيب، اللذان ينكران النبوة أشد الانكار، ودأبا على الطعن في الاسلام ومبادئه أثناء القرن الثالث والرابع للهجرة.

والاول من أصل يهودى، ويقال إنه اتنى إلى المعتزلة، ثم خرج عليهم وعلى الاسلام وأخذ يثير حوله الشبهات حتى حذر بعض اليهود المخلصين المسلمين. ويبدو أن أقوال ابن الراوندى ليست إلا ترديدا لأقوال البراهمة في عمومها، وخلاصة فكرته وفكرة البراهمة بشأن الرسالة أو النبوة والرسول إنه يعتقد بطلان الرسالة وعدم الحاجة إليها، إذ العقل يعنى عن الرسول أو النبى، فيما لعقل تميز بين الحق والباطل، والخير والشر، وفي الاهتداء بالعقل ويناسبه فلا حاجة اليه لكفاية العقل وإن

الرازي يقول بالتناسخ الذي عرفت به السمنية من الهنود. وسواء أكان الرازي متأثرا بعوامل أجنبية أم معبرا عن آرائه الشخصية، فإنه يصرح بأن الأنبياء لاحق لهم في أن يدعوا لأنفسهم مميزات خاصة، عقلية كانت أو روحية، فإن الناس كلهم سواسية، وعدل الله وحكمته تقضى بلامتياز واحد على آخر.

أما المعجزات النبوية فهي ضرب من الأقايص الدينية أو اللياقة والمهارة التي يراد بها التغير والتضليل. والتعاليم الدينية متناقضة يهدم بعضها بعضا، وتتفق مع المبدأ القائل أن هناك حقيقة ثابتة، ذلك لأن كل نبي يلقي رسالة سابقه وينادي بأن ما جاء به الحق ولا حق سواه، والناس في خيرة من أمر الامام والمأموم والتابع والمتبوع. والأديان في جملتها هي أصل الحروب التي وتحت فيها الانسانية من قديم، وعد والفلسفة والعلم، وربما كانت مؤلفات القدامى أمثال أبقراط وإقليدس وأفلاطون و أرسطوا أنفع من الكتب المقدسة.

ولا يدع بمحال للشك، بأن أقوال الرازي هذه تمثل أعنف حملة وجهت إلى الدين و النبوة طوال القرون الوسطى. ولكن الشيخ أبا خاتم الرازي استطاع أن يقابل هذه الحملة وجهها لوجه. ويخذر لها، وأن يهدم هذه الفتنة من أساسها. وأنه ممن أحسنوا الجدل والمناقشات والأخذ والرد ومهما كان أبو خاتم داعيا من دعاة الاسماعيلية، فهو لا يتكلم باسم الاسماعيلية وحدهم في هذه المسألة، بل باسم الاسلام والعقل والانسانية جمعاء. ذلك لأن مشكلة النبوة لا تتصل بفرقة دون فرقة، ولا تعنى طائفة منفردة من طوائف الاسلام. وقارئ كتاب "أعلام النبوة" لا يشعر مطلقا أنه يحمل شارة خاصة، على عكس كتب الفرق المختلفة.^{١٢}

وحسبنا أن نعلم أن انكار النبوة، والظعن في مبادئ الدين قد حدث على يد المفكرين والفلسفة لا يقنعهم إلا الأدلة العقلية المستندة الى قواعد المنطق الدقيقة. ومن

هنا كانت الحاجة ماسة الى تعضيد مبدأ النبوة بمحنة أساسا عقليا مقبولا كما بدا في نظر الفارابي، كما سنرى في الكلام التالي.

د - موقف الفارابي من هذا الشك والأفكار:

في هذا الجو المملوء بالحوار والمناقشة في موضوع النبوة الخطير نشأ الفارابي، وكان لا بد له أن يقاسم في المعركة بنصيب لاسيما وهو خاص لابن الراوندى والرازي معا، فقد ولد سنة ٢٥٩ هجرية وتوفي سنة ٣٣٩. ويروى المؤرخون أنه كتب ردين، أحدهما على ابن الراوندى والآخر على الرازي، وتأسف جد الأسف لان هذين الردين لم يصلنا، ومع ذلك يمكن أن نتكهن في موضوعهما في ضوء الملاحظات السابقة، فإنه لا يتوقع أن يرد الفارابي النطقى الفيلسوف على ابن الراوندى الا في شئ يتصل بالمنطق والجدل اللذين أخل الأخير بقواعدهما، أو في مبدأ من مبادئ الفلسفة والالهيات التي خرج عليها.

ولا بد أن يكون الفارابي، وهو الارسطى المخلص والمعنى بالسياسة والاجتماع، قد أخذ على الرازي كذلك أشياء كثيرة، في مقدمتها التهجم على أرسطو وأنكر سهمة الرسول السياسية والاجتماعية.^{١٣}

على أن الفارابي لم يكتف بهذا الوقف السلبى، وهذا الدفاع الذى إن رد عن النبوة بعض خصومها الحاضرين فهو لا يمنحها أسلحة تستعين بها على هجمات المستقبل، وعلى هذا أجهد نفسه فى أن يقيمها على دعائم عقلية ويفسرها علميا، وبذا استطاع أن يبطل كلمة أنصار العقل الموهومين، ويدحض دعوى المتفلسفين الذين يزعمون أن الدين لا يمكن التأخر مع الفلسفة، ولا القرب منها، ومن غريب المصادفات أن هذا الدعائم الجديدة ترجع إلى أصل أرسطى. فكان الفارابي قد تمكن فى نظرية النبوة أن يصوب إلى هدفين ويحظى بغايتين، فأسس الأديان تأسيسا

عقليا فلسفيا، وأبان للناس أن أرسطو الذى تهجم عليه الرازى وأنكره آخرون جدير
بِحظ كبير من الأجلال والتقدير.

تفسير الفارابى لمظاهر النبوة :

لاحظ الفارابى أن منكرى النبوة يدين أكثرهم بالبحث العلمى ويتزعم
معظمهم دعوى حرية الفكر، فرأى أن يبذل الجهود فى جانبين هامين: جانب الدفاع
ورد الشبه، ودحض الأدلة الواردة من فريق المنكرين وهذا هو الجانب السلبى الذى قد
ذكرناه سابقا، والجانب الإيجابى - يتمثل بقبول هؤلاء الذين لا يرضون الأدلة العقلية
والبحوث النظرية، وقد ظن الفارابى أنه بذلك يكتسب رد هذا المثقف إلى حظيرة الدين
عن إقناعه بأساسه، وهو الوحى والنبوة.

ولا جدال فى أن "نظرية النبوة" لدى الفارابى تتصل اتصالا وثيقا بكل من
نظريات المعرفة، والسعادة، والفيض لديه أيضا، إذ أن قمة المعرفة التى تشكل فى الوقت
نفسه قمة السعادة، تتم عند الاتصال بالعقل الفعال الذى يحتل المرتبة الثالثة فى الوجود
فى نظام الفارابى الفيضى الذى استقرت عناصره من الأفلاطونية المحدثة، وحاول بكل
طاقته أن يصبغه صبغة إسلامية، ولذلك عد معرفتنا بالله عن طريق الاستدلال عن
الموجودات التى صدرت عنه أوثق عن معرفتنا به مباشرة. ولتتمكن معرفتنا عن نظرية
النبوة لدى الفارابى يجب علينا معرفة نظرية الفيض لديه أيضا.

وتتلخص نظرية الفيض فى أن الواحد - الله سبحانه - يصدر منه العالم حين
يعقل أو يعلم ذاته. لم يكن هذا الصدور مباشرا بل يتم بوسائط، فمن الأول فيفيض
وجود ثان هو العقل الأول المحرك للفلك الأكبر، وتفيض نفوس هذه العقول نتيجة
تأملها فى ذاتها، لا فى مراقبتها حتى تأتى لمرتبة العقل الفعال الذى يشكل خلقه الاتصلل
بين العالم العلوى والعالم السفلى.

والعقل الفعال أعلى مرتبة من العقل الانساني، ويقع خارجه، وفيه توجد كل الصور والحقائق، وهو الذى يخرج العقل الانساني من القوة إلى الفعل، وبذلك تكون المعرفة همة وفيضا آتيا إلى العقل الانساني من الخارج، وليست حصيلة الاجتهاد والاكتساب.^{١٤}

نظرية النبوة عند الفارابي

لقد شرحنا فيما سبق أن نظرية الاحلام عند أرسطو له أثر كبير في نظرية النبوة عند الفارابي، بل إنها أصبحت أساسا لنظرية النبوة الفارابية. وستضح فيما بعد علاقة الاحلام بالنبوة.

إنه لمن المعروف أن الرؤيا والأحلام وعلاقتها بالتنبؤ والاهتمام بتفسير الاحلام وما إلى ذلك - كلها أمور لا يختص بها الاسلام، بل قد شاعت بين الشعوب الشرق فاطية قبل اليونان بوقت طويل، وقد حادنا القرآن الكريم عن مواقف انسانية، فرضتها أحلام، وتولى تأويلها خبراء في هذا الفن وأشهر الاحلام المروية في القرآن الكريم تتلمس بخاصة في سورة يوسف حيث نجد في مطلعها يوسف يقص على أبيه رؤياه، ونجد في أوسطها تقريبا حلم العزيز الذى أنزعه وراح ينشد من يؤوله له، كما نجد حلمين لرجلين رافقا يوسف في سجنه، وكلها أحلام تحتاج إلى تأويل، ولم تعتبر أضغاثا أى تخليطات عابثة - إلا من قبل هؤلاء الذين يجهلون اسرار النفس الانسانية وارتباطها بحالها.

ويتضمن القرآن أيضا بعض الاحلام التى لم تحتج إلى تأويل لأنها جاءت صريحة، كرؤيا سيدنا إبراهيم عليه السلام التى رأى فيها أنه يذبح ولده، وأخذ بهذه الرؤيا فعلا واعتبرها أمرا إليه، أعلن ولده الأذعان المطلق له ونجد في السيرة النبوية أمثلة لمثل هذه الاحلام الواضحة التى اعتبرت لحق إرهابات ممهدة لظهور نبوة محمد صلى

الله عليه وسلم حيث كان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، وضوحا وتحقيقا، وكذلك ما نسب إلى جد الرسول صلى الله عليه وسلم - عبد المطلب من رؤى بشأن حفر زمزم.

ولذا يعترف الشرع بأبسط صور الوحي التي يعتمد فيها على المتامات الصادقة والرؤيا الصالحة، وقد شغلت الرؤيا والمتامات علماء المسلمين. لكن يجب التنبيه إلى أنهم جميعا يتفقون على ضرورة التمييز بين الرؤيا الصادقة وأضغاث الاحلام، بما يشهد مرة أخرى بارتباط الرؤيا بمستوى صاحبها النفسى.

غير أن النقطة الهامة التي نود مناقشتها الآن هي: ما صلة الاحلام والرؤيا بالنبوة، لقد عرفنا بصورة موجزة كيف يقبح الحلم أو تحدث الرؤيا وأن ذلك يتم عنه حمود الحواس ونشاط الخيلة لتحريها من أعمال اليقظة، وعندئذ تبرز الصورة الذهنية للاحسانات المختلفة ويتشكل الحلم، فكيف يتم بالنسبة للنبوة.¹⁵

وللاجابة عن ذلك نقول: لما كانت الخيلة لدى أرسطو -ولدى الكندي و الفارابي من بعده - هي الوسيلة أو المصدر لصنع الحلم ونسجه مع مراعاة الطبائع والأمزجة والأحوال النفسية التي يخيهاها الرأى، فإنها أى الخيلة -لا تستطيع أداء هذه الوظيفة إلا إذا تعطل الاحساس وتوقف نشط الحواس كما يحصل ذلك فى النوم تماما.

ولكننا يجب أن نشير إلى حقيقة هامة بالنسبة لتبنى فلاسفة الاسلام نظرية الأحلام لأرسطو. وهي هامة وخطيرة لأنها تميز موقفهم تماما من موقف أرسطو، وتشهد بتفضيلهم النظرة الدينية عند وقوع التناقض بينها وبين رأى أرسطو.

إن أرسطو لا يمكن أن يفسر ما تصنعه الخيلة فى النوم تفسيراً يتصل بالوحي الالهى والالهام الغيبى، وهو يرفض رفضاً قاطعاً - بناء على نزعة الطبيعة الواقعية أى تفسير دينى أو تعليل يقوم على الإسناد إلى خفية أو أسرار مجهولة، لذلك لا مكان فى مذهبه للتبؤ بواسطة النوم، لا محل لاعتبار الاحلام نوعاً من الوحي الالهى.

وهنا يفترق فلاسفة الاسلام عن ارسطو بعد أن تبني فكرة الدور الذي تؤدي به المخيلة في اليقظة أو النوم، فترى الفارابي مثلاً يقرر أن الانسان يستطيع بواسطة مخيلته الاتصال بالعالم العلوي واختراق حجب الغيب، والوقوف على المكنون الخفي.^{١٦} والعبارة في ذلك بتفرغ المخيلة وعدم انشغالها، ومن المعروف أنه يتم ذلك في النوم.

وإذا صح أن يكون لإنسان ما "مخيلة ممتازة" يشتغلها شيء عن شيء ويمكنها التخلص من ريقه المحسن فإنه يستطيع بذلك أن ينفذ إلى عالم النور والمعرفة، وأن يتصل بالعقل الفعال (واهب الصورة والمعرفة) وقد يستطيع الانسان تحقيق هذا أيضا بآدمان النظر والتأمل والتصفية النفسية.

وعلى هذا يمكن أن يقال إن الفارابي يرى أن الاحلام - وهي آثار ونتائج المخيلة - يمكن أن تشرح النبوة والوحي إلى أبعد حد.

فالنبي إنسان وهب مخيلة ممتازة نفاذة عظيمة تكنه مرة من الحصول على الالهامات السموية في مختلف الظروف والأوقات، فليس الأنبياء إذن في حاجة إلى النوم لتعطيل حواسهم لئتم تفرغ المخيلة، بل إنهم يستطيعون ذلك في حالة اليقظة وذلك لعظم مخيلتهم، لكن الأنبياء ليسوا وحدهم في هذا الميدان، وفي ذلك المقدارة، فالفلاسفة الناضحون هم الآخرون يستطيعون الاتصال بالعقل الفعال (مصدر المعارف والصور والالهامات بواسطة تعمق الفكر والتأمل وتركيزه اليقظة، فالحواس تتعطل عن العمل - إما عند النوم كما هو الشأن، وإما عند اليقظة الخاصة - وتوجه النفس، أو المخيلة إلى ما وراء الحس تتصل بالعقل الفعال أو باللغة الدينية "اللوح المحفوظ" فيدرك ما يخصها من حقائق ومغيبات.

ويبدو أن الفارابي كان يرى أن للنبي طاقة أخرى أو قوة معينة إلهية تكنه من التقاط الوحي واستيعابه، وبذلك يبطل القول بأن الفارابي يجعل الوحي الإلهي عمادة مخيلة النبي، فيقول الفارابي:

"النبوة محتصة في روحها بقدسية ندعن لها غريزة عالم بمعجزات خارجة الجيلة والعاتات، ولا تصدأ مرآتها، ولا يمنعها شئ عن انتقاش ما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل، وذوات المكلائكة التي هي الرسل فتبلغ ما عند الله إلى عامة الخلق." ١٧

نقد نظرية النبوة الفارابية

إن هناك جوانب ايجابية تحسب في رصيد هذه النظرية كما هناك جوانب أخرى متحد من أخطر مثالها.

أما الجوانب الايجابية فيمكن إدراكها لو وضعنا نصب أعيننا دائما أن هدف الفارابي في معالجته لظاهرة النبوة من حيث هو، في وجه المنكرين لهذا المبدأ من أمامه، لا بالنفسية للمؤمنين الواثقين بكل ما جاء في القرآن والسنة بشأن الوحي أو النبوة. فإذا رأينا ذلك أمكننا أن نسجل الملاحظات التالية.

أولا: تعتمد هذه النظرية على أساس من علم النفس الأرسطي في جزء كبير منها، وعلى أساس آخر من التجربة الذاتية وبعض العقائد الدينية.

ثانيا : تسوى هذه النظرية بين النبي والفيلسوف، وربما فهم البعض منها تفضل الثاني على الأول من حيث اعتماد الأول على "الحقائق العقلية أعلى وأسمى من الحقائق التخيلية".

ثالثا : إذا كان الفارابي قد وقف موقفا وسطا بين العقل والنقل أو بين الدين والفلسفة، فأثبت النبوة إثباتا عقليا في وجه منكريها، وضحي في الوقت نفسه بظواهر

بعض النصوص الدينية فإنه قد استطاع فلا شك توضيح مكانة النبي السياسية والاجتماعية.^{١٨}

الخلاصة

وبعد أن شرحنا هذا البحث تفصيليا يمكن أن تلخصه نقطا تالية:

١. إذا نظرنا إلى سيرة الفارابي وشخصيته نستطيع أن نفر بأنه من أكبر فلاسفة الاسلام وأفهمهم، ولذلك تكون فكرته في المسائل الالهية وما وراء الطبيعة خصوصا تستحق الاهتمام والتقدير من طائفة المثقفين.
٢. يفهم من القرآن الكريم أن النبوة أو الرسالة أمر خاص بهؤلاء الناس الذين اصطفاهم الله، ولذلك إنما ليست أمرا مكتوبا الذي يمكن الحصول اليه على كل فرد.
٣. إن بيان النبوة في نطاق علم الكلام يقتصر على عرض براهين إثبات ضرورة النبوة والرد على أدلة انكارها بما يدحضها، إلى جانب أدلة اختصاصها بالبشرية، وأدلة إثبات ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم.
٤. يقتصر بيان النبوة في نطاق التصوف الاسلامي على المقارنة بين الولي والنبي، وإن آخر مرتبة الأولياء أول مرتبة الأنبياء.
٥. إن أصول نظرية النبوة لدى الفارابي تعتمد على نظرية الأحلام لدى أرسطو يجزء كبيد وتعاليم الاسلام في الوحي والالهام.
٦. إن الدفاع التي تدفع الفارابي على وضع نظرية النبوة هي ظهور هؤلاء منكرى النبوة من الفلاسفة والمزكية والماتوية وزنادقة العرب الذين أتوا بحجة بالغية في هدم فكرة التوحيد و النبوة التي قام عليها الاسلام.

٧. إن وضع الفارابي لنظرية النبوة في حقيقة الأمر نوع من محاولة التوفيق بين العقل والنقل أو الفلسفة والدين، بطريقة إثبات النبوة إثباتا عقليا في وجه منكريها، وضحي في الوقت نفسه بظواهر بعض النصوص الدينية.

وأخيرا، أسأل الله أن يهدينا سواء السبيل، وأن يوفقنا لخدمة العلم والدين والسلام.

الهوامش

- ^١ جيل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٧٣، ص ١٣٦
- ^٢ تاريخ الفلسفة العربية، ص ١٣٦-١٣٧
- ^٣ المصدر السابق، ص ١٤٠
- ^٤ محمد كمال إبراهيم جعفر: الاسلام بين الأديان، مكتبة دار العلوم، القاهرة، سنة ١٩٧٧ ص ٣٠٣ - ٣٠٤
- ^٥ محمد كمال إبراهيم جعفر، الاسلام بين الأديان، ص ٣٠٨
- ^٦ الاسلام بين الأديان، ص ٣١١
- ^٧ المصدر السابق، ص ٣٢٧
- ^٨ الاسلام بين الأديان، ص ٣٢٩ - ٣٣١
- ^٩ إبراهيم مدكور، في الفلسفة الاسلامية، منهج وتطبيق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٧١-٧٢
- ^{١١} محمد كمال إبراهيم جعفر، تأملات في الفكر الاسلامي، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٢٦
- ^{١٢} ٣٢٧-، الاسلام بين الأديان، ص ٣١٤ - ٣١٥، في الفلسفة الاسلامية منهج و تطبيق، ص ٩٦-٩٧.
- ^{١٣} تأملات في الفكر الاسلامي، ص ٣٢٠ - ٣٢١.
- ^{١٤} في الفلسفة الاسلامية، منهج وتطبيق، ص ٨٩-٩٢
- ^{١٥} في الفلسفة الاسلامية، منهج وتطبيق، ص ٩٣
- ^{١٦} تأملات في الفكر الاسلامي، ص ٣٢٤-٣٢٦
- ^{١٧} كمال إبراهيم جعفر، تأملات في الفكر الاسلامي، ص ٣٢٧-٣٢٨، الاسلام بين الأديان، ص ٣١٥-

^{١٧} إبراهيم مدكور، في الفلسفة الاسلامية، ص ٩٥

^{١٨} تأملات في الفكر الاسلامي، ص ٣٢٨-٣٣١

^{١٩} المصدر السابق، ص ٣٣٢-٣٣٣

المصادر والمراجع

جعفر (دكتور محمد كمال إبراهيم) : الاسلام بين الأديان، مكتبة دار السلام، القاهرة،

١٩٧٧

جعفر: تأملات في الفكر الاسلامي، مكتبة دار السلام، القاهرة، ١٩٨٠

الهاسم (جوزف): الفارابي، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت،

١٩٧٦

مدكور (د. إبراهيم) : في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق، الجزء الأول، دار

المعارف، القاهرة، ١٩٧٦

فيصل بدير عون (الدكتور) الفلسفة الاسلامية في الشرق، مكتبة الحرية الحديثة جامعة

عين الشمس، القاهرة، ١٩٨٢

النشار (الدكتور على سامي) : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، الجزء الأول، دار

المعارف، القاهرة، ١٩٧٧

صليبا (دكتور جميل) : تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣

طه الدسوقي (دكتور) : نظرية النبوة في الاسلام، دار الهدى للطباعة، القاهرة، ١٩٨١

هلال (دكتور إبراهيم) : التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة، دار النهضة العربية،

القاهرة، ١٩٧٩